بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا –، أما بعد أيها الأفاضل:

لا يخفى على عاقل آمن بالله واليوم الآخر أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأنَّ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[النحل:٩٧]، وأن تعاقب الأيام والشهور إنما هي أعمار تفنى، وأجساد تبلى، والأيام مطايا، الناس عليها راكبون، تسير بهم وهم لا يشعرون، وما مضى من الدنيا أحلام، وما بقي منها أماني، والوقت ضائع بين ذلك، وابن آدم إنما هو أيامٌ مجموعة، فكل يوم يمضي فإنما يمضي بعضًا من جسمه، ونحن بالأمس القريب كنا في رمضان، ومن أشراط الساعة تقارب الزمان، وها نحن في أيام شعبان «نرتقب» إلى رمضان، فكأنما كنا في حلم، هكذا الدنيا، ولذلك ربنا عَزَّوَجَلَّ يسأل الناس يوم القيامة: ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ ﴾[المؤمنون:١١٢-١١٣]، يشكُون هل يوم أو بعض يوم، يرجعون إلى أهل الحساب ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾، هكذا الدنيا إنما هي يوم أو بعض يوم، ولذلك قالوا: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

وشعبان شهر الفضائل وبالأخص شهر الصيام، في الصحيحين وغيرهما قالت عائشة ﵂: « لَمْ يَكُن النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا ».

وسبب صومه ﷺ قوله، قال: « ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ فِيهِ النَّاسُ عَنْهُ »، وفي رواية « شَعْبَانُ بَيْنَ رَجَب وَرَمَضَانَ تَغْفُلُ النَّاس فِيهِ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ ».

فشعبان تُرفع فيه أعمال العباد السنوية، والأعمال تُرفع في اليوم، وتُرفع في الأسبوع، وتُرفع في السنة، وترفع في العمر، ﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة:٦]، كلها تُعرض على الجبار جَلَّوَعَلَا، فسبب صومه ﷺ أنه شهر رفع الأعمال، والإنسان حين تُرفع أعماله وهو في طاعة خير من أن تُرفع أعماله وهو في غفلة، ولذلك كان يحرص ﷺ على صوم شعبان، فكان يصومه إلا قليلًا، وهذا القليل بيَّنه قوله ﷺ: « لا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْيَوْمَيْنِ إلا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ »، أي إلا رجل كانت له عادة من صيام فوافق قبل رمضان بيوم أو يومين يوم عادته، قال: « فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ »، وهنا « فَلْيَصُمْ » هل للإباحة أم للاستحباب؟ هل مستحب أن يصوم هذا اليوم قبل رمضان بيوم أو يومين لموافقته يوم عادته، أم أنه يباح له ذلك؟ الراجح الاستحباب.

ثبت في الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث: عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ أَوْ لِآخَرَ: « أَصُمْتَ مِنْ سَرَرِ شَعْبَانَ؟ »، قَالَ: لَا، قَالَ: « فَإِذَا أَفْطَرْتَ فَصُمْ يَوْمَيْنِ »، وفي رواية: قَالَ لِرَجُلٍ: « هَلْ صُمْتَ مِنْ سَرَرِ هَذَا الشَّهْرِ شَيْئًا؟ »، قَالَ: لَا، فَقَالَ لَهُ: « فَإِذَا أَفْطَرْتَ رَمَضَانَ – أي أفطرت من رمضان – فَصُمْ يَوْمَيْنِ مَكَانَهُ ».

وسَرَر الشهر آخر الشهر عند جماهير أهل العلم، وبوَّب البخاري ﵀ باب الصوم من آخر الشهر، والحديث رُوي سِرار وسَرر، وأما لفظ سرة فلم تثبت على الصحيح، وإن كانت عند مسلم.

وهذا الحديث فيه فضل صوم شعبان، لأنه ﷺ أمر من ترك يوما من شعبان أن يصوم مكانه يومين من شوال، فدل على فرض صوم شعبان.

وفيه أيضا مشروعية قضاء التطوع، هذا كان معتادا على الصيام فترك الصوم، فأمره الرسول ﷺ بقضاء هذا الصوم، فيُشرع للعبد إذا كان مواظبا على سنة فتركها لعذر أن يقضي هذه السُّنة.

وفيه أيضا استحباب المحافظة على ما اعتاده الإنسان من الخير.

وخلاصة ذلك أن شعبان يُستحب الصيام فيه، ومن له عادة يُستحب له أن يصوم عادته ولو وافق يوم العادة قبل رمضان بيوم أو يومين لأنه يصوم يوم العادة وليس احتياطًا للشهر، وأما حديث « إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا تَصُومُوا حَتَّى يَكُونَ رَمَضَان »، وفي رواية « إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِنْ شَعْبَانَ فَلَا تَصُومُوا حَتَّى يَكُونَ رَمَضَان ».

وتقدم معنا أن الرسول ﷺ « كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا »، و« إِلَّا قَلِيلًا » ليس النصف الأول إنما قبل رمضان بيوم أو يومين، هذا الحديث اختلف العلماء فيه، فأكثر العلماء يرون أنه ضعيف لا يصح، ويرون استحباب الصوم في كل الشهر ما عدا صوم يوم أو يومين احتياطا لرمضان، ومَن يصححه وهم كثير أيضا يقولون معناه: إذا بقي نصف من شعبان فلا تبتدؤا الصيام، لأن ابتداء الصيام بعد النصف يُضعف الإنسان، ويجلعه غير معتاد الصيام، فقد يثقل عليه الصوم في رمضان، فقالوا: حديث « إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ » هذا لمن يبتدأ الصوم بعد النصف، فيُكره له الصيام، وحديث « لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُم رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ » هذا يحرم عليه الصوم إذا صامه احتياطًا لرمضان.

وخلاصة ذلك أن شعبان شهر الصيام، فمن صام في النصف الأول جاز له أن يصوم في النصف الثاني فهذا يُكره له عند بعض العلماء، ويجوز له عند الأكثر.

ويؤخذ من حديث « إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِنْ شَعْبَانَ فَلَا تَصُومُوا » يؤخذ منه كراهة إفراد النصف بالصوم، إذا بقي نصف من شعبان إذا انتصف شعبان فلا تصوموا يؤخذ منه إفراد النصف من شعبان بالصيام على الكراهة.

قال ابن تيمية ﵀: « فأما صوم يوم النصف مفردا فلا أصل له، بل إفراده مكروه »، يعني إنسان ما اعتاد الصيام جاء لأيام البيض من شعبان أراد أن يصومه، هذا الأحوط له أن لا يصوم، وأما النصف فقط فلا شك أنه لا يصومه، والحديث الوارد في « إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَقُومُوا لَيْلَهَا وَصُومُوا نَهَارَهَا »، هذا حديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ، هذا الشق الأول من الدرس.

الشق الثاني: هل النصف من شعبان له فضيلة؟ وهل فيها أعمال تخصه دون بقية الأيام؟

نعم، ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ اطَّلَعَ اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ، فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُمْلِي لِلْكَافِرِينَ، وَيَدَعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدَعُوهُ »، وفي رواية « فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبَان يَغْفِرُ اللَّهُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ » هذا الحديث يحسنه بعض أهل العلم، وأما غيره من الأحاديث فكلها لا تصح بإجماعهم، وهذا الحديث لم يخص النصف بعبادة، إنما هو محض فضل من رب العالمين، « فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبَان يَغْفِرُ اللَّهُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ »، يعني كل من لم يكن مشركا ومن لم تكن بينه وبين إخوانه شحناء فإنه سينال هذا الفضل وهذا الأجر، سيغفر له، وهذا في الحقيقة كالتنبيه لاستقبال رمضان، فرمضان يُستقبل بترك الأدران، بترك الشرك والشحناء، قيامٌ بحق الله بالتوحيد، وقيامٌ بحق العباد بالصلح بينه والمصالحة له، فعلى المسلم أن يتجنب هذين الأمرين إذا أراد المغفرة في ليلة النصف من شعبان، لأن الحديث لم يعلق المغفرة بشيء آخر، « يَغْفِرُ اللَّهُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ »، ولذلك نص العلماء قديما وحديثا أن تخصيص النصف بعبادة خاصة من صيام أو قيام أو غير ذلك نصوا على أنه بدعة محدثة منكرة.

قال زيد بن أسلم: « ما أدركنا أحدًا من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى النصف من شعبان، ولا يرون لها فضلا على سائر الأيام ».

ولذلك ذُكر لابن أبي مليكة أن زياد النميري يقول: « إن أجر ليلة النصف كأجر ليلة القدر »، فقال: « لو أدركته وبيدي عصا لضربته بها »، زجر السلف عن الإحداث في دين الله عَزَّوَجَلَّ ولذلك قال النووي ﵀ عن صلاة النصف من شعبان، قال: « بدعة منكرة »، وصلاة النصف مائة ركعة في كل ركعة يقرأون الإخلاص بعد الفاتحة عشرا عشرا، وهذه تسمى بصلاة الألفية، لأنه يُقرأ فيها الإخلاص ألف مرة، هذه بدعة منكرة لا أصل لها.

ولذلك قال ابن القيم ﵀، قال: « ومن الأحاديث الموضوعة أحاديث ليلة النصف من شعبان » يعني الصلاة، قال: « والعجب ممن شمَّ رائحة العلم بالسنن أن يذهب إلى هذا الهذيان فيصليها »، قال: « وإنما أحدثت في الإسلام بعد الأربعمائة، ونشأت من بيت المقدس » يعني لم تكن في العصور المتقدمة التي أثنى عليها رسول الله ﷺ.

وقال القرطبي ﵀: « ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعوَّل عليه، لا في فضلها، ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليها ».

فتخصيص النصف بعبادة خاصة لأجل النصف مثل الألفية كما تقدم، وكذا ست ركعات بنية دفع البلاء، وطول العمر، والاستغناء عن الناس، وقراءة يس، والدعاء، كل هذا من البدع المحدثة في دين الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد قال نبينا ﷺ: « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ».

ومن الأمور المحدثة في النصف من شعبان، وقد درج عليها الناس وتفلسف بعضهم فجعلها من العادات والتراث تخصيص النصف بتوزيع الطعام والحلويات وغير ذلك، هذا ليس له أصل في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وقد قال نبينا ﷺ: « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عليه أمرُنا هذا فهو رَدٌّ »، وكان إذا خطب الناس قال بأعلى صوته: « أَمَّا بَعْد، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ».

وقد قال الإمام مالك ﵀: « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[المائدة:٣]، فما لم يكن يومئذ دينا فلن يكون اليوم دينا ».

وقال سعيد بن جبير ﵀: « ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين ».

ولا يقول قائل: هذه من العادات والتقاليد والتراث وليست عبادة، فلا دخل لها في الدين، نقول: الاحتكام عند الاختلاف إلى الشرع وقواعده، وإلى أقوال الأئمة والعلماء ممن أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بسؤالهم واستفتائهم، فإذا تبين الحق وليس بعد الحق إلا الضلال وجب على المؤمن أن يسلِّم ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا

﴿النساء:٦٥﴾، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[النور:٥١].

أولًا: هي صدقة، والصدقة من الدين، لأن الإنسان يؤجر عليها.

ثانيًا: تسمية الناس لها، لا تخرج عن ثلاث تسميات: يسمونها بـ« حق الله »، ويسمونها بـ« الثواب » ويسمونها بـ« حق الليلة »، صحيح أم لا؟ فيه اسم آخر؟ يسمونها « ثواب » أو « حق الله » أو « حق الليلة »، وهذا يدل على أنها عبادة، وأن فيها ثواب، وأنها حق لله، قد يقول البعض نحن لا نقول « حق لله » نقول « حق الليلة » ما هو الحق؟

الحق هو الواجب، يعني واجب الليلة، وهل هناك أحدا يوجب إلا رب العالمين؟! ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى:٢١]، ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[يونس:٥٩]، فتسميته « حق الليلة » يعني واجب الليلة، ولذلك من أهازيجها يقولون: « أعطونا الله يعطيكم، بيت مكة يوديكم »، يعني إذا تُعطونا لكم أجر، الله سيعطيكم مقابل إعطائكم، وقد يصل الأجر إلى تيسير أمر الحج أو العمرة، وهذا من شأن العبادات أو شأن العادات؟ لا شك أنها عبادة.

ثالثًا: تخصيص العبادة بوقت محدد معين يحتاج إلى دليل خاص، وإلا كانت العبادة بدعة، لذلك بعض الناس لا يتصدق مثلا إلا ليلة الجمعة، وعنده الصدقة في ليلة الجمعة هي المستحبة وفي غيرها لا يتصدق أبدا، كل أيام الله خير، والصدقة تقع في موضعها في أي يوم تصدقت، أو مثلا يخصص زيارة القبور في يوم الجمعة، لا يذهب إليها إلا في يوم الجمعة، نقول: لا تخصَّص، أو يخصص الزيارة في يوم العيد، نقول: التخصيص يحتاج إلى دليل خاص، وإلا انقلبت هذه العبادة إلى بدعة، فكيف إذا كانت عادة؟!

رابعًا: فيها سؤال الناس، يعني الشخص الذي يذهب

يقول: « أعطونا الله يعطيكم »، والتسول من غير حاجة وضرورة محرمة، ولذلك قال النبي ﷺ: « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ نَزَلَتْ بِهِ أَوْ عِيَالٍ لا يُطِيقُهُمْ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِوَجْهِ لَيْسَ عَلَيْهِ لَحْمٌ »، وقال النبي – عليه الصلاة السلام –: « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ مِنْ غَيْرِ فَقْرٍ فَكَأَنَّمَا يَأْكُلُ الْجَمْرَ »، فبأي حق نعود أولادنا وهم صغار للذهاب للتسول وسؤال الناس « أعطونا الله يعطيكم ».

ثم نقول: مبدأ الاحتفال بالنصف من شعبان والفرح وتوزيع الحلويات وغيرها مبدأ بدعي أسس على بدعة، وهو اعتقاد لبعض الفرق الضالة أن المهدي وهو محمد بن الحسن العسكري ليس مهدي السنة، وُلد في الخامس عشر من شهر شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة، فهم يحتفلون ويفرحون بميلاده، فقلدهم من جاورهم من أهل السنة، وبقوا عليها وظنوها أنها عادة وهي في الحقيقة عبادة وبدعة وتقرب، ولا يجوز لمسلم متبع لنبي الله ﷺ أن يقلد أهل البدع، وقد قال ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾[الأنعام:٥٥]، لا بد من المباينة، لا بد من التميز.

والاحتفال بالمولد حكمه من النصارى، وأخذه من شابههم وقلدهم، « لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » اليهود والنصارى، فالمبدأ بدعة وضلالة لبعض الفرق، فلا يجوز للإنسان أن يقلد، ولذلك أشد الناس احتفالا وتوزيعا للحلويات هم من خالف السنة، لأنهم يحتفلون عن اعتقاد.

الأمر السادس: مَن مِن العلماء المعتبرين الذين أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بسؤالهم قال بجواز هذا الأمر، وقال بسنيته، وحث عليه؟

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه العظيم « اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم » يعني الصراط المستقيم يقتضي منك إن اتبعته أن تخالف أهل الجحيم،

يقول: « فأما صوم يوم النصف مفردا فلا أصل له بل إفراده مكروه »، قال: « وكذلك اتخاذه موسما تُصنع فيه الأطعمة وتُظهر فيه الزينة هو من المواسم المُحدثة المبتدعة التي لا أصل لها » أليس كلامه صريح في المسألة؟ « وكذلك اتخاذه موسما تُصنع فيه الأطعمة » الناس قديما وأدركناهم، وبعض الناس لا يزال على عادته، وبعض الناس ممن قد يتولى مناصب قد يتولى كبر هذا الأمر، ويُحبي ما أماته الناس، ويجعلها سنة متبعة، وقد قال ابن عباس: « ليأتي على الناس زمان إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة، حتى تموت السنن وتحيا البدع »، قال: « فإذا غُيرت البدعة – يعني إلى السُّنة – قام الناس فقالوا قد غيرت السنة » انتكاس الفطر.

الأطفال يدورون على البيوت يجمعون « الثواب »، و« حق الله »، و« حق الليلة »، والناس في المغرب يطبخون الأطعمة ويوزعونها على جيرانهم، ما زالت موجودة.

قال ابن تيمية: « وكذلك اتخاذه موسما تُصنع فيه الأطعمة – أي النصف – وتُظهر فيه الزينة هو من المواسم المحدثة المبتدعة التي لا أصل لها ».

الأمر السابع: تخصيص يوم يعود كل سنة أو كل شهر أو كل أسبوع يجعل ذلك اليوم عيدا كالجمعة عيد، فإذا خصصت يوم في السنة يعود، كل سنة يعود، تجعل ذلك اليوم عيدا، يقول ابن تيمية: « فالعيد اسما لما يعود من الاجتماع العام على الوجه المعتاد »، قال: « عائد بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر »، قال: « فالعيد يجمع أمورا منها – انتبه – يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها اجتماع فيه، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات ».

لو قلنا عادة نقول جعلتها عيدا، وليس في الإسلام إلا الفطر والأضحى، هذا الأصل، ولذلك عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ:

قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا – وهما يقول العلماء يوم المهرجان والنيروز، الاحتفال بالنيروز أو النوروز ويوم مهرجان مخصص –، فَقَالَ: « مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ أَبْدَلَكُمْ خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الْأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ » [رواه ابن داوود].

« إِنَّ اللَّهَ أَبْدَلَكُمْ خَيْرًا مِنْهُمَا »، هل بقي الصحابة يحتفلون بذلك أم لا؟ انقطع دابر يوم المهرجان ويوم النيروز، قال العلماء: لولا شدة النهي من النبي ﷺ ما انقطع الناس من عاداتهم، لأن نزع الناس خاصة النساء والأطفال بيوم العادات والاحتفالات شديد، قال العلماء: حتى إن الملوك ليعجزون عن نزع الناس عن عاداتهم، فلولا شدة النهي من النبي ﷺ ما ترك الناس ما اعتادوا عليه من الاحتفال، فالنبي زجر زجرا شديدا عن اتخاذ غير هاذين اليومين عيدا.

ولكن قد يقول القائل كيف نرد الأطفال؟ أليس ديننا دين الرحمة؟ أليس تكاثرت الوصية من النبي ﷺ بالأطفال؟ أليس قال رسول الله ﷺ: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا »؟، يأتوننا إلى البيوت كيف نردهم؟ كيف نكسر قلوبهم؟ أين العطف؟ أين القيام بحقوق الطفولة؟ ما الجواب؟

نقول: إذا لم نردهم متى يتعلمون دينهم؟! إذا شب الصغار على بدعة، فإذا كبروا هل يتركونها؟ يستحيل، فبأي حجة نعوِّدهم على مخالفة الشرع، إذا لم نردهم ما علمناهم السنة، وما علمناهم الدين، إذا أخطأ الولد ينبغي أن ينصح ويبين له، وكل الناس مسؤولون، فـ« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »، وقد قال ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[المائدة:٢]، وتقدم معنا « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ من بعدي فَتَمَسَّكُوا بِهَا »، وقد قال ربنا: ﴿وَالَّذِينَ

يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ انظر إلى حالهم ووصفهم من رب العباد ﴿يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ وهو الكتاب والسنة، الوحي من رب العالمين، ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[الأعراف:١٧٠]، فعليك إن أردت سلوك النجاة عليك أن تتمسك بالكتاب والسنة، وتقيم العبادة والدين في نفسك، وتسعى في الإصلاح لنفسك ولغيرك، هذا طريق النجاة، وهذا إنما هو تذكير، والمسلم عليه أن يتفقه في الدين، وقد قال ربنا: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٤٣]، فلا يقول قائل هذه عادات، هذا تراث الناس يحيونها، قد يحييها الإعلام، لا تغتر بكثرة الهالكين فإن الناجين قليل، ليس العجيب ممن هلك كيف هلك ولكن العجيب ممن نجا كيف نجا، ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣]، ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الأنعام:١١٦]، وسبيل الله واحد وسالكوه نبه الله على رفقائهم لقلة السالكين، وكلكم يقرأ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦]، قال ابن القيم: « فسر السلف ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بأبي بكر وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ »، ولكن قد تستوحش من قلة السالكين والناصحين، فالله أرشدك إلى ما هو أعظم، قال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧] من هم؟ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء:٦٩]، انظر إلى الرفقاء السابقون.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يحيينا وإياكم على السنة، وأن يميتنا عليها، وأن يحشرنا في زمرة أهلها تحت لواء نبينا ﷺ، وأن يسقينا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدا، وأن لا يفتنا في ديننا ولا في دنيانا، إنه ولي ذلك والقادر عليه